

# التجلى الإلهي في المسيح

هل يُعقل، أن يتجلى الله في بشر؟

باسم أدرنلي

باحث ومعلم للكتاب المقدس وخلفياته الحضارية  
ومدافع عن الإيمان المسيحي

إصدار الكنيسة المفتوحة - ٢٠١٢

## هل المسيح إنسان؟ أم إله؟ مقدمة

في الأناجيل نجد نصوصًا كثيرة ربما تحير القارئ؛ نصوص تؤكد على أن المسيح إنسان وأن الله إله كإنسان، مثل قوله:  
" ... إني أصعد إلى أبي وأبوكم إلهي وإلهكم." (يوحنا ٢٠ : ١٧)؛  
"الرب إلهنا إله واحد" (مرقس ١٢ : ٢٩). ونصوص فيها المسيح صلي إلى الله؛ مثل متى ١٤ : ١٣ و ٢٣ ولوقا ٤ : ٤٢ و ٥ : ١٦ و ٦ : ١٢ و ١٨ و ٩ : ٢٨-٢٩ و ١١ : ١ و ٢٢ : ٣٢ و ٤١-٤٤ و ٢٣ : ٤٦ و يوحنا ١٧. فتلك النصوص تؤكد على أن المسيح كان إنسان، والله كان إله كإنسان.

ويوجد نصوص أخرى كثيرة تؤكد على أن المسيح هو الله، مثل: ممارسة سلطانه لغفران الخطايا (مرقس ٢ : ١٠)؛ إعلانه أنه أزلي الكون (يوحنا ٨ : ٥٨)؛ إعلانه أنه الحياة ذاتها بقوله: "أنا هو القيامة والحياة..." يوحنا ١١ : ٢٥؛ إعلانه أنه هو الذي سيقوم البشر من الأموات في اليوم الآخر (يوحنا ٥ : ٢٥ و ٦ : ٥٤)؛ وإعلانه أنه هو معطي الحياة، يوحنا ١٠ : ٢٨. فهذا الأصحاح مثلاً، يُظهر بوضوح أن الفريسيين وعلماء الدين، تعقيباً على تلك الأقوال وعلى خلفية فهمهم لنصوص العهد القديم، مثل تثنية ٣٠ : ٢٠، فهموا جيداً قصده؛ وحاولوا أن يترجموه، وفسروا ذلك بقولهم:

" ٣٣ ... لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل من نفسك إلهًا!!" وآيات أخرى كثيرة تبرز بوضوح إعلان المسيح لسلطانه الإلهي.

ومن خلال رداستي لكثير من النقاد الذين يرفضون فكرة أن الله تجلى

في شخص المسيح، ومن أشهرهم في القرن الماضي كان أحمد ديدات، وجدت أن ٩٩٪ من نقدهم مبني على فلسفة واحدة بسيطة:

- ١- إثبات أن المسيح كان إنسان، وأن الله كان إلهة كإنسان.
- ٢- من ثم استنتاج أنه لذلك من المستحيل أن يكون هو الله!!

أي أن المبدأ الفلسفي البسيط الذي يعتمدون عليه هو:  
من المستحيل أن يكون المسيح إنسان وإله في نفس الوقت، لأن الإثنان يتعارضان ويتضاربان. إذا كان إنسان، فهو ليس إله، وإذا كان الله، لا يمكن أن يصبح إنسان.

لذلك لكي نجيب على ذلك النقد، نحتاج أن نتعامل مع أربعة قضايا جوهرية:

- الأولى: طبيعة الله المثلث الأقانيم.
- الثاني: لاهوت التجلي الإلهي في شخص المسيح.
- الثالث: هل يوجد تعارض بين كون المسيح إنسان وإله في نفس الوقت؟
- الرابع: تجلي الله في العهد القديم.

الفصل القادم سيقترن على القضية الأولى فقط، وهي طبيعة الله المثلث الأقانيم، وعلاقتة بالتجسد.

## (١) طبيعة الله المثلث الأقانيم

قبل أن نفهم التجلي الإلهي في شخص المسيح، يجب أن نفهم طبيعة الله كإله واحد أوحد مثلث الأقانيم؛ الآب، الابن، والروح القدس. فبالرغم من أن هذا موضوع كبير جدًا على مقال صغير كهذا، لكن سأحاول باختصار طرح الأمور المختصة بالثالوث، التي ستساعدنا على فهم التجلي الإلهي في شخص المسيح.

ماذا تعني كلمة أقنوم؟ هي كلمة سريانية مشتقة من "قنوما"، فيها تكمن عدة معانٍ مثل: "شخص" و"طبيعة" و"ذات" و"كيان" و"ماهية". ونظيرها باليونانية "هيپوستاسيس"، تعني ما يقوم عليه جوهر القائم أو الكائن، أي أن الأَقنوم هو شخصية أو طبيعة فريدة، مرتبطة بشخصية أو طبيعة أخرى بلا انفصال.

### في الثالوث لا يوجد مزج:

وذلك يعني أن الآب هو ليس الابن، والابن هو ليس الروح القدس والروح القدس هو ليس الآب. لكن بالرغم من ذلك، الآب هو الله، الابن هو الله، الروح القدس هو الله أيضًا. لكي نفهم أكثر هذه النقطة في الثالوث، ممكن أن ننظر إلى الإنسان المخلوق على صورة الله (تكوين 1: 27)؛ فالإنسان، بحسب 1 تسالونيكي 5: 23، هو مثلث الأقانيم أيضًا؛ روح ونفس وجسد (النفس مثلثة أيضًا، وهي الشعور والفكر والإرادة، وهي عبارة عن من أنت، أي شخصيتك وذاتك وفكرك). فعندما يرون الناس جسدي يقولون هذا أنا؛ وروحي هي أنا أيضًا، وكذلك نفسي هي أنا. لكن نفسي هي ليست جسدي، وجسدي هو ليس روحي، ونفسي هي ليست روحي. فالجسد له

دوره في الحركة والتنفيذ؛ والروح لها دورها في جذب الإنسان للرجوع والاقتران بالله، والنفس لها دورها في قيادة مصير الجسد الأرضي والأبدي؛ لكني واحد ولست ثلاثة. فكل أقنوم له عمله ودوره، لكنه مرتبط ومعتد على الأَقنوم الآخر؛ فعندما أفكر، نفسي تفكر، لكن ليست نفسي التي تكتب، بل جسدي. فكل أقنوم من أقانيمي له دوره، وهو مرتبط بالأَقنوم الآخر بشكل لا يمكن فصله؛ وهذا يقودنا إلى النقطة الثانية.

## في الثالوث ليس فصل:

لا يمكن أن أفصل جسدي عن نفسي وعن روعي، فالجسد هو كيان واحد لا يمكن فصله عن بعضه البعض؛ لذلك لا يمكن اعتبار الأَقانيم وحدات منفصلة بل وحدة واحدة. كذلك الثالوث الإلهي، فالآب والابن والروح القدس، هم وحدة واحدة لا يمكن فصلهم عن بعضهم البعض. لذلك هم واحد وليسوا ثلاثة.

## في الثالوث لا رُتب:

بالرغم من أن النصوص تبرز طبيعة الآب ودوره القيادي للثالوث الإلهي، لكن هذا لا يعني أنه أعظم من أقنوم الابن والروح القدس. فالتساوي مرتبط بالطبيعة وليس بالأدوار. مثل تساوي البشر تمامًا أمام الله، فهو غير مبني بتأنا على الأدوار، فالملك في عيون الله، مثل الزبال؛ وذلك بناءً على طبيعته البشرية وليس بناءً على دوره في المجتمع. ولتوضيح هذا في أقانيم الإنسان، فلاحظ أنه بالرغم من أن النفس هي التي تقود مصير الجسد وتوجهاته، لكن لا نقدر أن نقول أن النفس أهم أو أعظم من الجسد، فنفس بلا جسد يجعل الإنسان في حالة موت سريري؛ وجسد بلا نفس، يكون الإنسان مُعاق ومتخلف عقلياً؛

ونفس وجسد بلا روح، يصبح الإنسان كالحَيوان. لأن الجسد وحدة واحدة مثلت الأقانيم؛ وكل أقنوم متساو بالآخر بحسب تساويه في الطبيعة؛ ومرتبب بالآخر.

## للتالوث يوجد وجه وإظهار:

عندما يرونني الناس، يرون جسدي، وليس روحي، لأن روحي لا تُرى. كذلك الله، فجميع أظهاراته في العهد القديم، من تجليه لموسى في العليقة وعلى الجبل وظهوره لإبراهيم، كان ظهور أقنوم الابن، وليس الأب، لأن الأب لم يره أحد قط (يوحنا ١: ١٨ و ١ يوحنا ٤: ١٢)، وهو لا يُرى (١ تيموثاوس ١: ١٧ و ٦: ١٦). فأقنوم الابن هو "... صورة الله غير المنظور.." (كولوسي ١: ١٥). أي أن الابن، هو الإعلان الكامل للذات الإلهية، وهو القناة التي من خلالها تظهر ملء القدرة والإرادة الإلهية، كما عبر الكتاب المقدس عنه، قائلاً:

" ٣ الذي وهو بهاء مجده (مجد الله الأب)، ورسم جوهره، وحامل جميع الأشياء بكلمة قدرته." عبرانيين ١.

إذاً الله واحد مثلت الأقانيم، الأب والابن والروح القدس. الأب هو الله، الابن هو الله، والروح القدس هو الله. دور الأب يختلف عن دور الابن، كذلك دور الروح القدس، لكن الله واحد. إن للتالوث وجه مرئي للبشر، وهذا الوجه هو أقنوم الابن، فهو الإعلان الكامل للذات الإلهية. هو الذي ظهر مراراً وتكراراً في العهد القديم للكثير من الأنبياء، لكنه لم يأت في جسد بشري مثلنا؛ بل في جسد سماوي على صورة البشر أحياناً. لكن عندما جاء ملء الزمان، وبحسب تخطيط الأب المُسبق، قبل كل الدهور، تجلى أقنوم الابن في شخص بشري مثلنا، لكن بلا خطية، بولادته من أحشاء القديسة العذراء مريم، ليُخلص البشر من هلاكهم ويُرجعهم إلى أحضانه الأبدية.

## (٢) لاهوت التجلي الإلهي في شخص المسيح

كما تعلمنا في الفصل السابق، "طبيعة الله المثلث الأقانيم"، إن الله واحد مُثلث الأقانيم، الآب والابن والروح القدس. الآب هو الله، الابن هو الله، والروح القدس هو الله. دور الآب يختلف عن دور الابن والروح القدس، لكن الله واحد. إن أحد أدوار أقنوم الابن في الثالوث، هو أن يكون الوجه الإلهي المرئي للبشر؛ فهو الإعلان الكامل للذات الإلهية، حيث أن الآب لا يُرى، وكذلك الروح القدس. وكما تعلمنا من الإنسان المثلث الأقانيم، كيف أن النفس لا تُرى والروح لا يرى، لكن الجسد هو التعبير المرئي عنهما؛ كذلك أقنوم الابن، فهو الذي ظهر مراراً وتكراراً في العهد القديم للكثير من الأنبياء ليعلن عن شخص الله. لكنه لم يظهر في القديم بجسد بشري من لحم ودم مثلنا؛ بل في جسد سماوي على صورة البشر أحياناً. أما عندما جاء ملء الزمان، وبحسب تخطيط الآب المُسبق، قبل كل الدهور، تجلى أقنوم الابن في شخص بشري مثلنا، لكن بلا خطية، بولادته من أحشاء القديسة العذراء مريم، ليُخلص البشر من هلاكهم ويُرجعهم إلى أحضانه الأبدية.

عندما ندرس عن التجلي الإلهي لأقنوم الله الابن في شخص المسيح، نحتاج أن ندرس نص مفتاحي، يتكلم عنه، وهو النص الآتي:

" 6 الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ. 7 لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، أَخَذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. 8 وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانْسَانَ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتَ الصَّلِيبِ." فيلبي ٢.

سياق النص:

إن سياق هذا الأصحاح هو أن بولس يحث المؤمنين بأن يكونوا واحداً، ويتنازل كل واحد منهم عن حقوقه في سبيل بناء الجسد ورفع الأخوة ( ١-٤)، بعدها يقدم لهم مثال المسيح، ويحثهم على أن يكون فكرهم كفكره (٥)؛ الذي بالرغم من أنه معادلاً لله الآب في لا هوته، وله كل الأمجاد السماوية؛ "لكنه أخلى نفسه"، أي تنازل عن حقه من جهة مكانته، وأخذ صورة إنسان (٦-٧). وليس ذلك فقط، بل وضع نفسه أقل من البشر، وأطاع الآب كإنسان، حتى موت الصليب؛ لكي يتم لنا الخلاص والحياة (٨). كذلك بولس وهو متمثلاً بالمسيح، قدم في الأصحاح الثالث من فيلبي، كيف تنازل عن جميع امتيازاته البشرية، وحسبها نفاية من أجل فضل معرفة المسيح، وإيجاد نفسه الضائعة فيه، لبناء كنيسته (فيلبي ٣: ٥-٩). وأيضاً في مرات عديدة، تنازل عن سلطانه كرسول، لكي لا يخلق تشويش في الكنيسة يعيق الملكوت والرسالة (١ كورنثوس ٩: ١٢)؛ وتنازل عن حقوقه كمواطن في الدولة الرومانية، وقيل أن يُعامل كمواطن من الدرجة الثانية ويذل ويهان في الأسر، في سبيل تحقيق رسالة الله لامتداد ملكوته (أعمال ٢٠: ٢٢-٢٤ و ٢٦: ٣١-٣٢).

## تفسير النص:

"الذي إذ كان في صورة الله":

المقصود به في النص هو المسيح؛ والنص باليونانية يعني "الكائن في صورة الله". أي أنه أزلي الكون في صورة الله، كالإظهار والإعلان المرئي للذات الإلهية؛ والقدرة والعمل الإلهي.

كما يعبر الوحي عنه في كولوسي ١: "15 الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكُرُّ كُلِّ خَلِيقَةٍ. 16 فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءً كَانَ عُرُوشاً أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ."



"لم يحسب خلصة أن يكون معادلاً لله":

كلمة "خلصة" تعني السرقة بخفة وخفية؛ أي أن أقنوم الابن الكائن في صورة الله، لم يحسب معادلته لله الآب بالطبيعة الإلهية، أمر يحتاج أن يختلسه، لأنه واقعٌ هو كائنٌ به؛ وهو بالحقيقة معادلاً لله الآب بالطبيعة (ليس بالأدوار، كما تكلمنا في الفصل السابق).

"لكنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ":

ربما هذه هي أهم عبارة في النص يجب أن نركز عليها بخصوص التجسد؛ وتعني أنه تنازل عن دوره المعادل للآب إلى حين؛ لكن تنازله عن دوره الإلهي كأقنوم الابن:

١- لا يعني أنه عزل عنه لاهوته، بمعنى أنه فقد قدراته الإلهية؛ أو ظل أقنوم الله الابن في السماء.

٢- ولا يعني أنه ظهر كأنه إنسان، لكنه كان الله ولم يكن إنسان جاء بالجسد؛

٣- ولا يعني أنه قام بالتمثيل للبشر أنه إنسان، لكنه كان فقط الله الابن.

بل تعني أنه جاء في جسد بشري مثلنا، لكن بلا خطية؛ وخضع لجميع قوانين البشر. وخضوعه لجميع قوانين البشر يعني أن الله الآب كان إلهه كإنسان؛ كان يجب أن يصلي للآب، لكي يتم خطة الآب كإنسان. فلم يكن يمثل أنه يصلي، لكنه كان يصلي فعلاً، بحسب قوانين البشر، لكي تنجح خدمته. كان ينمو في الحكمة والقامة النعمة كإنسان، متكل على قدرات الله الآب. لقد عمل جميع معجزاته بقوة الآب الحال في المسيح، كإنسان. من الخطأ الشائع الذي يظنه الكثير من المؤمنين هو أن معجزات المسيح كانت البرهان على أنه الله. هذا غير صحيح، لأن المسيح أخلى نفسه من سلطانه الإلهي، وخضع لقوانين البشر؛ فجميع معجزاته عملها بقوة وسلطان الآب الحال في المسيح. وعلى رأسها إقامة لعازر من الأموات، قبلها قال يسوع هذه الكلمات في يوحنا ١١:

٣٩ " قَالَ يَسُوعُ: «ارْفَعُوا الْحَجَرَ»... ٤١ فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعاً وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقٍ وَقَالَ: «أَيُّهَا الْآبُ أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي ٤٢ وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أُرْسَلْتَنِي».

وقال أيضاً للتلاميذ في يوحنا ١٤:

١٠ " ... الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلَمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الْآبَ الْحَالَ فِي هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ... ١٢ الْحَقَّ الْحَقَّ لِقَوْلِ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلِأَعْمَالِ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا لِأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي."

لذلك نرى من خلال الكتاب المقدس أن المسيح ليس الوحيد الذي صنع معجزات، فالكثير من الأنبياء صنعوا معجزات، وأقاموا موتى كإيليا وأليشع؛ وبينهم من صنع معجزات يرى البعض أنها أعظم من إقامة موتى، كإيقاف الشمس عن طريق يشوع أو شق البحر عن طريق موسى. لكن نتعلم من النصوص أيضاً، أن المسيح صنع معجزات لم يصنعها أحد من قبله؛ كفتح أعين العمي، وإطلاق أسرى الشيطان أحرار (بحسب نبوات أشعيا ٤٢: ٧)؛ أيضاً لم نر نبي عمل هذا الكم من المعجزات كالمسيح (يوحنا ١٢: ٣٧). والسبب في هذا، هو أنه كان أقدس وأنقى إنسان عاش على هذه الأرض؛ لذلك مسحه الله أكثر من جميع رفاقه الأنبياء (مزمور ٤٥: ٧ وعبرانيين ١: ٨-٩).

أما الذي يبرز أن المسيح هو الله، فهو إعلاناته الإلهية عن ذاته، التي ذكرنا البعض منها في الفصل الأول، وليس معجزاته (إعلانه على أنه الله، لا يعني أنه استخدم سلطانه الإلهي).

أي أن جميع النقاد الذين يرفضون حقيقة لاهوت المسيح، يستندون على جانب واحد فقط من النصوص، وهو الجانب الذي يبرز أن المسيح كان إنسان، وبالتالي يستنتجون منه أنه كان فقط إنسان وليس الله. إن الجانب

البشري للمسيح صحيح، نراه بوضوح من خلال النصوص، أن المسيح كان إنساناً تماماً مثل البشر، خاضع لكل قوانين البشر. لكن نرى من النصوص أيضاً جانباً آخرًا لا يتعارض من إنسانية المسيح؛ وهو أن المسيح كان أيضاً الله الظاهر في الجسد، وذلك بحسب ما أعلن لنا عن ذاته. أعلن عن ألوهيته، لكن لم يستخدمها لحياته الخاصة؛ ومنها نعلم أنه الله، وليس من خلال المعجزات.

### (٣) هل يوجد تعارض بين كون المسيح إنساناً وألله؟

كما تعلمنا في الفصول السابقة، إن الله واحد في ثلاثة أقانيم، لكل أقنوم دور مميز ومرتبطة بالأقنوم الآخر. كأقانيم الإنسان الثلاثة: الجسد، النفس والروح، كل أقنوم له دوره المميز عن الآخر، لكن الثلاثة مرتبطين ببعض بلا انفصال، وواحد في المقام والطبيعة. دور أقنوم الله الابن هو أن يكون الإعلان المرئي والملموس للذات الإلهية، كي نعرف الله؛ كما قال البشير يوحنا عن المسيح وهو شخص الكلمة:

" 14 وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوَحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا... 18 اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الْإِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ هُوَ خَبَّرَ. " يوحنا ١.

إن المعارضين يثيرون قضية هامة للجدل في ادعائهم، بأنه يوجد تعارض ما بين كون المسيح إنساناً وألله في نفس الوقت. يوجد في طبيعة كل إنسان شخصيات متعددة؛ فممكن أن يكون إنسان ملك، غني، أب، في نفس الوقت. لكل شخصية من تلك الشخصيات، يوجد صفات متميزة ومسئوليات؛ لكن تلك الشخصيات لا تتعارض مع بعضها البعض. فممكن أن يكون شخص ملك وغني وأب، في نفس الوقت. لكن

أحيانًا يكون هناك تعارض بين شخصيات معينة؛ فإذا قلنا مثلاً عن ذلك الملك، أنه غني وفقير في نفس الوقت؛ هنا يوجد تضارب في الشخصيتين، إذا كان غني، من المستحيل أن يكون فقير؛ وإذا كان فقير، من غير الممكن أن يكون غني، وفي نفس الوقت؛ لأن كل من تلك الشخصيات تُبطل الأخرى. فالمشكلة هنا التي أحيانًا لا نفهمها كمسيحيين، أن المعترضين يرون تضاربًا ما بين شخصية المسيح كأله، وكنسان؛ فالله غير محدود، والإنسان محدود؛ إذا كان كائن محدود، لا يمكن أن يكون غير محدود، وفي نفس الوقت؛ والعكس صحيح. فكل من الشخصيتين تُبطل الأخرى، ولا يمكن أن تجتمعا إثنين معًا أبدًا.

إن هذا الاعتراض مُحق وصحيح؛ نعم يوجد تضارب ما بين شخصية إنسان يمارس إنسانيته وألهيته، في نفس الوقت.

فكيف يكون المسيح محدود (كنسان) وغير محدود (كأله)، وفي نفس الوقت؟

## الجواب على هذا الاعتراض:

مشكلة المعترضين هي أنهم يفترضون أن المسيح كان يمارس محدودياته كنسان، وغير محدودياته كأله، وفي نفس الوقت. إن هذا ليس ما يعلمه الكتاب المقدس لنا، وكما تعلمنا في الفصل السابق: "لاهوت التجلي الإلهي في شخص المسيح"، إن الكتاب يبين الطريقة التي تجلى بها أقنوم الله الابن في شخص المسيح، والتي يُظهر بها كيف أنه لم يكن هناك تعارض بين الشخصيتين. فالكتاب يعلم، كما رأينا إلى الآن، أن أقنوم الله الابن أخلى نفسه من مقامه الإلهي، وأشترك في جسد من لحم ودم مثلنا؛ ولم يستخدم لاهوته أبدًا بأي شكل يتضارب مع إخلائه لنفسه، وعيشه بحسب قوانين البشر المحدوده.

فإذا جاء ذلك الملك الغني مثلاً، وقرر بأن يُخلي نفسه ويعيش كرجل فقير بسيط عادي لمدة معينة. أصبح يعمل في كدّ وتعب، لكي يعيش. في تلك الحالة لا يتعارض كونه فقير وغني في نفس الوقت، لأنه قطع نفسه عن غناه ومصادره، لمدة معينة؛ وأخذ دور إنسان بسيط فقير ذات إمكانيات محدودة، إلى حين. لقد بدأ ذلك الملك، الذي أخذ دور إنسان بسيط وفقير، بالتقدم والشهرة؛ وبدأ يُعَلِّم الناس في المملكة عن الملك، ويتعامل مع أفكارهم الخاطئة عنه؛ تَقَدَّمَ وتَفُوق وأصبحت له شعبية كبيرة. إلى أن انتخبه الشعب ليكون رئيس الوزراء والرجل الثاني في الدولة. لقد اكتسب هذا بتقدمه كإنسان عادي؛ دون أن يستخدم مصادره وغناه كملك؛ لقد أثبت للجميع بأن كل إنسان ممكن أن يصبح عظيمًا إذا اراد وتعب وصمم، وسلك مستقيمًا أمام الله والناس.

فالمعترضون يفترضون بأن المسيحيون يدعون بأن المسيح كان يستخدم مصادره وسلطانه الإلهي في فترة إخلائه، وفي نفس الوقت؛ عندها يكونوا طبعًا مُحَقِّقِينَ في ادعائهم. فإذا حاول ذلك الملك استخدام مصادرة الملكية بشكل جزئي، لا يمكن أن تتفق الشخصيتين معًا. فإذا تارة احتاج ذلك الملك إلى مال، فاتصل في قصره ليحضروا له مال في الخفية؛ أو انتهى مرة طبخة معينة، وطلب من القصر بأن يحضروها له؛ أو مرض تارة، فأرسل إلى القصر لإحضار أفضل الأطباء. يكون عندها قد مثل بشكل مخادع أمام الشعب بأنه أخلى نفسه كفقير، وهو ليس كذلك. وبالتالي لا يحقق شيء، ولا يكون فقيرًا أصلاً وليس مثلاً للشعب. أما الكتاب يُعَلِّم بأن ذلك الملك، أخلى نفسه تمامًا من مصادره وتعب وتقدم؛ إلى أن اكتسب كل شعبيته كإنسان عادي، بمحدودياته، دون أن يستخدم غناه ومركزه. طبعًا لم يتوقف في لحظة واحدة بأن يكون الملك، فهو الملك؛ لكنه تنازل عن مقامه ودوره الملكي، لكي يصل إلى أبناء مملكته، كإنسان كادح مثلهم بجميع محدودياتهم. لقد عاش وعَلَّمَ الشعب كيف يكونوا موالين وخاضعين للملك (أي لنفسه)، بسحب الأصول والقوانين التي سنّها الملك.

هذا هو نموذج التجلي الإلهي الذي يقدمه العهد الجديد؛ فأقنوم الله الابن " ٩ .. مِنْ أَجْلِكُمْ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَعْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ. " (٢ كورنثوس ٨). فهو لم يمثل أنه افتقر ولم يمثل أنه أخلى نفسه؛ لكنه أخلى نفسه فعلاً من مقامه الإلهي، وتجلّى في شخص المسيح؛ عاش كإنسان عادي متكل على إمكانيات الله الأب. عمل جميع معجزاته بقوة الأب الحال في المسيح (يوحنا ١٤ : ١٠)؛ عَبَدَ اللهُ الأب كإنسان، عاش تحت جميع محدوديات البشر؛ كان مجرباً في كل شيء مثلنا، لكن بلا خطية (عبرانيين ٤ : ١٥). لقد كان الله الأب يسمع لصلاته بسبب تقواه، وليس بسبب لا هوته، وذلك بحسب قوانين الله لباقي البشر (عبرانيين ٥ : ٧). كانت عليه مسحة أكثر من جميع الأنبياء الأولين، لأنه كان الإنسان الوحيد الذي أرجع السرور لقلب الله الأب؛ فأحب البر وأبغض الاثم، لذلك مسح الله إلهه أكثر من شركائه الأنبياء (عبرانيين ١ : ٩).

إذا كما قلنا سابقاً، جميع المعترضون على أن الله تجلى في شخص المسيح، يحاولون أن يبرزوا أن المسيح كان إنسان، ويستنتجون من هذا أنه من غير الممكن أن يكون الله. نعم المسيح كان إنسان، عاش كإنسان، نوافق على هذه الحقيقة؛ لكن لأنه أخلى نفسه من سلطانه الإلهي، أصبح لا تعارض بين كونه إنسان والله في نفس الوقت. لأن غير المحدود، قرر أن يعيش محدوداً لوقت معين من الزمن، دون أن يمارس مقامه غير المحدود. كالملك الغني الذي قرر بأن يقطع نفسه من استخدام غناه لوقت معين، فلا يتضارب كونه فقير، مع كونه غني. طبعاً بالرغم من أنه عاش كإنسان، أعلن لنا عن ألوهيته، لكن لم يستخدم ألوهيته بشكل يتعارض مع قوانين البشر. كمثال الملك، فكون الملك عاش كفقير محدود بحسب إمكانيات البشر، لا يتضارب هذا في أنه أعلن للبعض من أصدقائه أنه الملك، وقال لهم أن الذي يراه يرى الملك؛ لأنه في الحقيقة هو الملك؛ مع حفاظه على محدودياته كإنسان بسيط أخلى نفسه من سلطان ملكه.

لقد ذهب ذلك الإله الذي تجلى في شخص المسيح، إلى الصليب؛ لكي يرفع عنا شوكة الموت والخطية، ويردنا إلى أحضانه الأبدية. لقد صُلب جسد المسيح على الصليب، "لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه، في ما كان ضعيقاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد،" (رومية ٨)؛ فالذي صلب هو جسد المسيح الإنسان البشري: " ١٨ فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يُقربنا إلى الله، مماناً في الجسد ولكن محيياً في الروح،" (١ بطرس ٣).

فهل تريد أن تفتح قلبك وتقبل يد الله الممتدة لك بالمسيح يسوع؟ لا يكفي أن تؤمن بأن المسيح مُرسل من الله فقط؛ بل يجب أن تؤمن بأنه المُخلص الذي أعده الله المثلث الأقانيم لك؛ وبدونه لا يوجد لك أي رجاء للنجاة من الجحيم الأبدي، لأنه:

" ١٢ ليسَ بِأحدٍ غَيْرِهِ الْخَالِصُ. لِأَنَّ لَيْسَ اسْمٌ آخَرَ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ. " أعمال ٤.

## (٤) تجلي أقنوم الله الابن في العهد القديم

إن الإيمان المسيحي بتجلي الله في شخص المسيح، هو ليس بأمر جديد على طبيعة الله في الكتاب المقدس. سنرى من خلال هذا الفصل ظهور الله في العهد القديم، منذ أكثر من ألفي عام من تجليه في شخص المسيح بجسد بشري. كما تعلمنا في الفصول السابقة، إن الله الواحد المثلث الأقانيم، وجه وإظهار مرئي للبشر، وهذا الوجه أو الإعلان هو أقنوم الله الابن. وكما قلنا في سابقاً، لقد ظهر أقنوم الله الابن للبشر في العهد القديم، بإظهارات متعددة، وأحياناً ظهر بجسد سماوي على صورة البشر.

### تجلي الله لإبراهيم:

لا نعرف كيف كانت الطريقة التي كَلَّم بها الله إبراهيم، لكنه قال له أن يذهب من أرضة إلى الأرض التي سيريه إياها، أرض كنعان (تكوين ١٢: ١-٣). لقد تقابل أقنوم الله الابن مع إبراهيم للمرة الأولى بصورة رجل كاهن على رتبة ملكي صادق. وملكى صادق كان كاهناً لله العلي، في شاليم (أورشليم)؛ فبارك إبراهيم وقدم له إبراهيم عشراً من كل أمواله، كالله. وقدم ملكي صادق لإبراهيم خبزاً وخمراً (رموز الكنيسة، كإشارة للعمل الفدائي المزمع أن يفعله أقنوم الابن بعدها بحوالي ٢٠٠٠ عام)؛ كما شهد يسوع بنفسه لليهود عن هذا اللقاء وقال: " 56 أُبُوِّكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بَأَنَّ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَقَرَّحَ" (يوحنا ٨).

أيضاً لقد ظهر أقنوم الله الابن لإبراهيم، مرة أخرى على شكل رجل عادي مع ملاكين، ليبشر إبراهيم أن سارة ستحبل بشكل معجزي، وتلد ابناً يسميه إسحق. فيقول الوحي في تكوين ١٨:



" 1 وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بُلُوطَاتٍ مَمْرًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقَتَ حَرِّ النَّهَارِ 2 فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلَاثَةُ رِجَالٍ وَأَقْفُونٌ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لِاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الْأَرْضِ."  
إن عبارة "وَوَظَرَ لَهُ الرَّبُّ"، تتكلم عن ظهور مرئي، وتتكلم عن الله، دون أي تشكيل، لأن الكلمة المستخدمة لـ "الرب" هي "يهوه".

فذبج لهم إبراهيم وقام بضيافتهم؛ وبعدها تكلم له الرب:

" 10 فَقَالَ: «إِنِّي لُرَجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ». وَكَانَتْ سَارَةُ سَامِعَةً فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ 11 وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمِينَ فِي الْأَيَّامِ وَقَدْ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ. 12 فَضَحِكَتْ سَارَةُ فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «أَبَعَدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ!»  
طبعًا بعدما ضحكت سارة في باطنها، علم الله أنها ضحكت، لأنه الإله الذي يعرف كل شيء، فقال:

" 13 فَقَالَ الرَّبُّ لِإِبْرَاهِيمَ: «لِمَذَا ضَحِكْتَ سَارَةُ قَائِلَةً: أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شَخْتُ؟ 14 هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ فِي الْمِيعَادِ أُرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ»."

بعدها ذهب الثلاث رجال؛ وكان الرب مزعم أن يرسل بعد ذلك اللقاء، الملاكين الذين كانا معه ليُخرب سدوم:  
" 16 ثُمَّ قَامَ الرَّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَتَطَلَّعُوا نَحْوَ سَدُومَ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مَا شِيئًا مَعَهُمْ لِيُشَيِّعَهُمْ. 17 فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أَخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ 18 وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَّمِ الْأَرْضِ؟... 22 وَأَنْصَرَفَ الرَّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سَدُومَ وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ." "

فابتدأ إبراهيم يتوسط أمام الله، الظاهر أمامه بصورة رجل، لأجل ابن أخيه لوط؛ ودعى إبراهيم الله المائل أمامه، بالمولى واعتبر نفسه أمامه تراباً ورماداً:

" 27 فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أَكْلُمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ.» (أيضاً ٣١-٣٢).

بعد هذا اللقاء يقول الوحي:

" 33 وَذَهَبَ الرَّبُّ عِنْدَمَا فَرَعَ مِنَ الْكَلَامِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَانِهِ."

وماذا حدث للملاكين الذين كانوا مع الله؟

ففي الآية التي بعدها تماماً، في تكوين ١٩ : ١، يقول:

" 1 فَجَاءَ الْمَلَائِكَةُ إِلَى سَدُومَ مَسَاءً وَكَانَ لُوطٌ جَالِساً فِي بَابِ سَدُومَ. فَلَمَّا رَأَاهُمَا لُوطٌ قَامَ لِاسْتِقْبَالِهِمَا وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ. " فذهبا لإنقاذ لوط، وإخرااب سدوم.

**ظهور أقنوم الله الابن لموسى:**

وهنا نرى أقنوم الله الابن يظهر لموسى، ليس بشكل إنسان بشري مثلنا، ويسميه الوحي ملاك الرب، في نفس الوقت الذي يسميه الله، فيقول الوحي:

" 1 وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنَ مِديَانَ فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وِوَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورِيبَ. 2 وَظَهَرَ لَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ بِلَهِيْبِ نَارٍ مِنْ وَسْطِ عَلْيَقَةٍ فَنَظَرَ وَإِذَا الْعَلْيَقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ وَالْعَلْيَقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ! 3 فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الْآنَ لِأَنْظُرَ هَذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لَا تَحْتَرِقُ الْعَلْيَقَةُ؟ (أي الشجرة)»

لكن كيف نعرف أن ملاك الرب في هذا النص هو الله؟

لأن الوحي يتابع ويقول:

" 4 فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَدَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى مُوسَى». فَقَالَ: «هَنَنْدَا». 5 فَقَالَ: «لَا تَقْتَرِبْ إِلَى هَهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رَجْلَيْكَ لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ.»

إن كلمة الرب الأولى في النص أعلاه هي "يهوه"، وكلمة "الله" الثانية هي كلمة "إلوهيم"؛ فلا يمكن أن تطلقا تلك الكلمتان إلا على الله؛ فلا يوجد هنا أي مجال للتأويل أو التشكيك. وخاصة أن الوحي يقولك "ناداهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَيْقَةِ"، فينفي هذا أي احتمال آخر، مثل؛ أن الله كان في السماء يتلکم معه، وأراه في نفس الوقت منظرًا عجيبًا في العليقة على الأرض. لكن نرى أن الله تكلم مع إبراهيم من وسط العليقة، للتأكيد على ظهوره ولقاءه معه، لكن ليس كصورة البشر بل كلهب نار.

لكن كيف نعرف أن الذي ظهر لموسى ولإبراهيم هو أقنوم الله الابن، وليس ببساطة الله؟

نعرف هذا بسبب عدة آيات، نُعَلِّمُ بوضوح أن الله لا يقدر أحد أن يراه ويعيش؛ منها في العهد القديم:

إن رجال الله في العهد القديم كانوا يعلمون بأن الذي يرى الله يموت؛ فعندما رأى يعقوب الله؛ فالكتاب يقول:

" 30 قَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيْبِيلَ» قَائِلًا: «لَأَنِّي نَظَرْتُ اللهُ وَجْهًا لُوْجِهِ وَنَجَّيْتُ نَفْسِي». (تكوين ٣٢).

لكن في تكوين ٣٣، عندما طلب موسى من الله قائلاً:

" 18 فَقَالَ: «أَرِنِي مَجْدَكَ». " فقال له الله:

" 20 .. «لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ». 21

وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا عِنْدِي مَكَانٌ فَتَقِفْ عَلَى الصَّخْرَةِ. 22 وَيَكُونُ مَتَى اجْتَاَزَ مَجْدِي أَدِّي أَضْعُكَ فِي نُقْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ وَأَسْثُرُكَ بِيَدِي حَتَّى اجْتَاَزَ. 23 ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي. وَأَمَّا وَجْهِي فَلَا يُرَى.»

إن النص يوضح أن موسى طلب أن يرى مجد الله، لكن الله قال له لا يقدر أن يراه أي إنسان ويعيش، وأيضاً قال له أن وجهه لا يُرى؛ فمن الذي رأى وجهه يعقوب؟ ومن الذي ظهر لموسى قبلها وتكلم معه من العليقة؟

إن الذي رآه يعقوب هو الله الابن، وهو الذي ظهر وتكلم مع موسى عند دعوته؛ لكن الذي طلب أن يرى مجده موسى، هو الله الأب. أيضاً كان موسى يتكلم مع الله وجهاً لوجه (خروج ٣٣: ١١ و ٣٤: ١٠)؛ إن هذا كان أيضاً أقنوم الابن، حيث أنه في سيناء، كلّم جميع الشعب وجهاً لوجه أيضاً (تثنية ٥: ٤).

### في العهد الجديد:

إن العهد الجديد بيّن بشكل أوضح، أن أقنوم الله الابن هو الإعلان الكامل للذات الإلهية؛ فيبيّن أن الله الأب لم يره أحد قط، لكن جميع الإعلانات التي رأيناها عن الله، كانت بواسطة أقنوم الله الابن:  
" 18 الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبّر. " يوحنا ١.

فكما تعلمنا سابقاً، عندما يرونني الناس، يرون جسدي، وليس روحي، لأن روحي لا تُرى. كذلك الله، فجميع أظهاراته في العهد القديم، من تجليه لموسى في العليقة وعلى الجبل وظهوره لإبراهيم وغيرها، كان ظهور أقنوم الله الابن، وليس الأب؛ لأن الأب، كما يقول النص أعلاه، لم يره أحد قط (يوحنا ١: ١٨ و ١ يوحنا ٤: ١٢)؛ وهو لا يُرى (١

تيموثاوس ١ : ١٧)؛ و" لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ" (١)  
تموثاوس ٦ : ١٦). فأقنوم الابن هو "... صورة الله غير المنظور.."  
(كولوسي ١ : ١٥). أيضاً أكد المسيح أن الذي رآه، فقط رأى الأب  
(يوحنا ١٤ : ٩)؛ حيث أن هذا أيضاً إعلان فريد ومميز، كيف يمكن أن  
يقول أي نبي، "الذي يراني يرى الله"؛ إن هذا الإعلان يختص في  
إظهار الله الابن، بأنه الإعلان المرئي الكامل للذات الإلهية.

إذاً إن قضية تجلي الله الابن في شخص المسيح، لم تكن فكرة جديدة، أو  
فكرة من ابتداع المسيحيين، بل هي طبيعة إلهية نراها في كل تاريخ  
مسير الله مع الإنسان، متمثلة بتجلي الله في العهد القديم في جسد سماوي  
على صورة البشر أحياناً. "4 وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ  
ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنْ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، 5 لِيَقْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ  
النَّامُوسِ، لِنَنَالَ النَّبِيِّ." (غلاطية ٤). إذا تجلي الله الابن في جسد من  
لحم ودم مثلنا، لكن بلا خطية، كان فقط قبل ألفي عام (عبرانيين ٢ :  
١٤)؛ بحسب تخطيط الله الأب المُسبق من قبل تأسيس العالم (١ بطرس  
١ : ٢٠).